المبحث الخامس

الحشر بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولًا: الحشر في التصور الإسلامي:

للحشر كما ورد في القرآن الكريم أربعة أنواع: حشران في الدنيا، وحشران في الآخرة. وسنتحدث بإيجاز عن نوعي الحشر في الدنيا، ثم نفصل نوعي الحشر في الآخرة، فنذكر تعريف الحشر، وعمومه للإنس والجن والحيوان والطير، وسمائه وأرضه، وكيفيته وذكر العرق يوم القيامة في الحشر، وحشر المؤمنين إلى الجنة، وحشر الكاذبين إلى النار.

الحشر في الدنيا:

أول نوع من أنواع الحشر في الدنيا: هو ما ذكره الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢] والمقصود من الآية أن الله أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب لأول الحشر، أي في أول حشرهم إلى الشام، وكانوا من سبط من اليهود لم يصبهم جلاء قط، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء، وهم أول من أخرج من جزيرة العرب إلى الشام، وآخر حشرهم يوم القيامة. ويقول ابن عباس: من شك أن الحشر في الدنيا فليقرأ هذه الآية، وذلك أن النبي ﷺ قال لهم: «**اخرجوا**». قالوا إلى أين؟ قال: «**إلى أرض الحشر**». قال قتادة: هذا أول الحشر (١).

النوع الثاني في الدنيا: الحشر الذي يكون قبل يوم القيامة، والذي يعتبر

---

(١) أبو السعود جـ ٤: ٧٠١، ٧٠٢، والتذكرة للقرطبي جـ ١ ص ٢٤٢ .

من علامات الساعة، وفيه أن النار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، وتأكل من تخلف منهم، وهذا الحشر هو الذي ورد عنه الخبر فيما رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**يحشر الناس على ثلاث طرائق، راغبين وراهبين، واثنان على بعير، ثلاثة على بعير، أربعة على بعير، عشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسى معهم حيث أمسوا**» (١). والعلماء مختلفون حول هذا الحشر هل هو في الدنيا أم في الآخرة؟

فذهب بعض العلماء إلى أن المراد بهذا الحشر، الحشر في الآخرة. وحجتهم أن الحشر إذا أطلق في عرف الشرع يراد به الحشر من القبور ما لم يخصصه دليل، كما في الحديث السابق، وأيضًا أن بقية الناس التي تحشرهم النار قول لم يرد فيه توقيف، وليس لأحد أن يحكم على أهل الشقاوة بتسليط النار عليهم في الدنيا(٢). ويحتج من يذهب من العلماء إلى أن هذا الحشر في الآخرة بأن التقسيم في الحديث للناس، إشارة إلى التمثيل في سورة الواقعة، ويرون أن قوله ﷺ: «**يحشر الناس على ثلاث طرائق**» إشارة إلى الأبرار والذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا وإشارة إلى الكفار. فالأبرار هم الراغبون إلى الله تعالى فيما أعد لهم من ثوابه، والراهبون هم الذين بين الخوف والرجاء، والأبرار يُحملون على النجائب، والراهبون على الأبعرة، والفجار تسوقهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا (٣). هذا رأي من ذهب من العلماء إلى أن الحشر الوارد في حديث أبي هريرة يقصد به الحشر في الآخرة.

وفريق آخر من العلماء ذهب إلى أن الحشر الوارد في الحديث حشر في الدنيا وليس في الآخرة، وحجتهم في ذلك أن الحشر في الآخرة على خلاف الصورة

---

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣١٨/٣١٩/٣٢٠ .
(٢) نفسه ص ٣١٨ .
(٣) التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٢٤٣ .

التي ورد بها الحديث من الركوب على الإبل والتعاقب عليها، وإنما حشر الآخرة هو ما ورد في حديث ابن عباس، بأن الناس يحشرون حفاة عراة، واستدل هذا الفريق من العلماء على أن هذا الحشر في الدنيا بأن النار التي تحشرُ الناسَ والتي ورد بها الخبر ليست نار الآخرة، وإنما هي كناية عن الفتنة التي تفتن الناس قبل يوم القيامة، وهذه النارُ مثل قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾ [المائدة:٦٤] ونميل إلى أن الحشر الوارد في حديث أبي هريرة حشر في الدنيا لا في الآخرة، لأنه قد ورد في نفس الحديث أن النار تحشرهم وتقيل معهم حيث قالوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسى معهم حيث أمسوا، وليس في الآخرة صباح ولا مساء. وقد رجح ابن حجر هذا الرأي في الفتح، يقول: «**يبعد غاية البعد أن يحتاج من يساق إلى الموقف إلى الجنة، إلى التعاقب على الأبعرة، فرُجحَ أن ذلك إنما يكون قبل البعث. والله أعلم**» (١).

الحشر في الآخرة:

حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث إلى الموقف، وهو في اللغة: الجمع ورد في مختار الصحاح: حَشَرَ الناسَ جمعَهُمْ، وبابه ضرب ونصر، ومنه يوم الحشر (٢). وفي الاصطلاح عند علماء التوحيد: «**سوقهم جميعا - أي المخلوقات - إلى الموقف، وهو الموضع الذي يقفون فيه من الأرض المقدسة المبدلة التي لم يعص الله عليها، لفصل القضاء بينهم، لا فرق في ذلك بين من يجازى وهم الإنس والجن والملك، وبين ما لا يجازي كالبهائم والوحوش على ما ذهب إليه المحققون**» (٣) يقول السعد في شرح المقاصد: «**المعتمد في إثبات حشر الأجساد دليل السمع، والمفصح عنه غاية الإفصاح من الأديان دين الإسلام، ومن الكتاب «القرآن»**، ومن الأنبياء محمد عليه السلام» (٤).

---

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٢١ . (٢) مختار الصحاح ص ١٣٧ .

(٣) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢١٣ .

(٤) شرح المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٥٦، الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٧٨، جـ المسايرة في علم الكلام ص ١٤٢.

وهذا الحشر يكون للمخلوقات كلها يقول الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام:٣٨] يروي الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها: حتى تقاد الشاة الجلحاء من الشقاة القرناء**»(١).

وهذا الحديث يدل على حشر البهائم يوم القيامة وإعادتها، كما يعادُ أهل التكليف. وقد اختلف أهل التأويل في حشر الحيوانات والطيور المذكور في آية الأنعام، فعن ابن عباس أن موت البهائم حشرها، وقال آخرون: الحشر في هذا الموضع يعني به الجمع لبعث الساعة وقيام القيامة، واستدلوا بما ورد عن أبي هريرة في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام:٣٨] قال: يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم، والدواب، والطير، وكل شيء، ويبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول كوني ترابًا، فلذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابًا. واستدلوا أيضًا بما ورد عن النبي ﷺ، عن أبي ذر قال: بينما أنا عند رسول الله ﷺ إذ انتطحت عنزتان، فقال رسول الله ﷺ: «**أتدرون فيم انتطحتا؟**» قالوا: لا ندري. قال: «**لكن الله يدري وسيقضي بينهما**»(٢).

وبعد أن يستعرض الإمام الطبري آراء القائلين بالحشر، والقائلين بأن الحشر بالنسبة للحيوانات والطيور يعني به الموت، يذهب إلى أن «**الصواب من القول عندي أن يقال إن الله تعالى أخبر أن كل دابة وطائرٍ محشورٌ إليه، وجائز أن يكون معنيا به الحشرات جميعًا، ولا دلالة في ظاهر التنزيل ولا في خبر النبي ﷺ** أي ذلك المراد في قوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام:٣٨] إذا كان الحشرُ في كلام العرب الجمع، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:١٩] يعني مجموعة، فإذا كان الجمع هو الحشر وكان الله تعالى جامعًا خلقه إليه يوم القيامة وجامعهم بالموت، كان أصوب القول في ذلك أن يعم بمعنى الآية ما عمه الله

(١) تحفة الأحوذي شرح صحيح الترمذي جـ ٧ ص ١٠٤ .
(٢) انظر الطبري جـ ٥ ص ١١٩، ١٢٠، وانظر ابن كثير جـ ٢ ص ١٣١ ، والبغوي جـ ٢ ص ٩٥.

بظاهرها، وأن يقال كل دابة وكل طائر محشور إلى الله بعد الفناء، وبعد بعثِ القيامة، ما دام الله قد عمَّ بقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام :٣٨] ولم يخصص حشرًا دون حشر»[١].

والذي أميل إليه هو أن الحشر في الآخرة عام يشمل جميع المخلوقات لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام :٣٨] ولقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير :٥] وفي تفسير هذه الآية وردَ أن معنَى حشرِ الوحوش جمعها وبعثها للقصاص. قال قتادة: «**يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص، فإذا قضى بينهما ردت ترابًا، فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبني آدم وإعجاب بصورته كالطاووس ونحوه**»[٢]. ولا معنى لصرف الحشر في آية الأنعام وآية التكوير إلى الموت، لأن اللغة تثبت أن الحشر بمعنى الجمع، وسياق الآية الأخيرة يبين أنها في معرض الحديث عن القيامة وأهوالها، والرسول ﷺ أخبر أن هناك قصاصًا بين الحيوانات يوم القيامة، ومعلوم أن الحساب بعد الحشر.

أرض الحشر في الآخرة:

إن أرض المحشر التي يحشر الله الخلق إليها يوم القيامة تكون غير أرض الدنيا، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم :٤٨] الآية فيها دليل على أن الأرض يوم القيامة سوف تبدل، وكذلك السماوات وتبديل الأرض قد يكون بالذات، أي أن الأرض ذاتها تبدل، كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء :٥٦] وكقوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ :١٦] وإلى هذا الرأي ذهب جماعة من العلماء[٣] وهذا الرأي

---

(١) الطبري بتصرف جـ ٥ ص ١١٩، ١٢٠ .

(٢) أبو السعود جـ ٤ ص ٨٣٧ .

(٣) انظر الكشاف للزمخشري جـ ٢ ص ٣٨٤، وأبو السعود جـ ٣ ص ٢٠٨، ٢٠٩ .

يؤيده ما رواه البخاري بسنده عن سهل بن سعد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقى**». قال سهل أو غيره: ليس فيها معلم لأحد. قال الخطابي: العفر بياض ليس بالناصع، وليس فيها معلم لأحد: أي ليس فيها علمٌ لأحد، أي أنها مستوية، والحديث يدل على أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة، والحكمة في ذلك أن ذلك اليوم يوم عدل وظهور حق، فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك طاهرا عن عمل المعصية والظلم، وليكون تجليه سبحانه على عباده على أرض تليق بعظمته، ولأن الحكم فيه إنما يكون لله وحده، فناسب أن يكون المحل خالصًا له وحده [(١)].

وذهب بعض العلماء إلى أن تبديل الأرض والسماء يوم القيامة يكون بالصفات لا بالذات، ومعنى تبديل صفات الأرض سير الأرض عن جبالها، وتفجر مجاريها، وتسويتها، فلا يرى فيها عوجا ولا أمتا، وتبديل السماء بانتثار كواكبها، وكسوف شمسها، وخسوف قمرها، وانشقاقها، وكونها أبوابًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ [النبأ:١٩][(٢)].

ويستدل العلماء بأن صفات الأرض هي التي تبدل بما أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عمر قال: «**إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم، وحُشِر الخلائق**». ويستدلون بما ورد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:٤٨] قال: «**يزاد فيها، وينقص منها، ويذهب آكامها وجبالها وأوديتها وشجرها**»[(٣)].

ويمكن الجمع بين القائلين بتبديل الذات وتبديل الصفات بأن تبديل الصفات يكون عند نفخ الصور وقيام القيامة، وهذا يكون في أرض الدنيا، أما أرض الحشر

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣١٥ .
(٢) انظر الكشاف جـ ٣ ص ٣٨٤، وأبو السعود جـ ٣ ص ٣٠٨، ٣٠٩.
(٣) فتح الباري جـ ١١ ص ٣١٦ .

في الآخرة فتكون بتبديل الذات، كما نطقت بذلك الآية، ودلت عليها الأحاديث النبوية. وما يقال عن الأرض يقال عن السماء. وقد نقل ابن حجر الخلاف في تبديل السماء فقال: «**واختلف في السماوات أيضًا، فقيل: إنها إذا طويت تكور شمسُها وقمرُها وسائر نجومها، وتصير تارة كالمهل، وتارة كالدِّهان. وأخرجه البيهقي في البعثِ من طريق السدى عن مرة عن ابن مسعود قال: «السماء تكون ألوانا كالمهل والدهان، وواهية، وتشقق، فتكون حالاً بعد حال»** وجمع بعضهم بأنها تنشق أولًا فتصير كالوردة، وكالدهان، والمهل، وتكور الشمس، والقمر، وسائر النجوم، ثم تطوى السماوات، وتضاف إلى الجنان» [(١)].

وبعد أن بينا آراء العلماء في تبدل الأرض والسماوات يوم القيامة، يُطرح هذا التساؤل: أين يكون الناس عند تبدل الأرض غير الأرض؟

وقد سألت السيدة عائشة رسول الله ﷺ هذا السؤال. روى الإمام مسلم بسنده عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم :٤٨] فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: «**على الصراط**»[(٢)] وفي رواية الترمذي «**على جسر جهنم**» وروى مسلم من حديث ثوبان مرفوعًا «**يكونون في الظلمة دون الجسر**».

يقول صاحب الفتح: «**جمع البيهقي بين هذه الأحاديث بأن المراد بالجسر الصراط، وفي قوله ﷺ** على الصراط مجازًا، لكونهم يجاوزونه، لأن في حديث ثوبان زيادة يتعين المصير إليها لثبوتها، وكان ذلك عند الزجرة التي تقع عند نقلهم من أرض الدنيا إلى أرض الموقف، ويشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر :٢١-٢٢][(٣)].

---

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣١٧ .
(٢) رواه الإمام مسلم جـ ٢ ص ٥١٧ .
(٣) وانظر فتح الباري جـ ١١ ص ٣١٧ بتصرف.

كيفية الحشر في الآخرة:

ونعني بكيفية الحشر الصفة التي يكون الناس عليها أثناء حشرهم وسوقهم إلى الموقف للحساب. وقد وردت الأحاديث التي تبين الكيفية التي يحشرُ الناسُ عليها يوم القيامة، من كونهم حفاةً عراة غرلا. فقد روى البخاري بسنده عن ابن عباس رض الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يقول: «**إنكم ملاقو الله حفاة عراة غرلا**»(١).

والحديث فيه دلالة على أن الناس سيحشرهم الله يوم القيامة حفاة، عراة من الملابس، غرلا جمع أغرل، وهو الأقلف، ومعناه كما قال ابن عبد البر: «**يحشر الآدمي عاريًا، ولكل من الأعضاء ما كان له يوم ولد، فمن قطع منه شيء يرد حتى الأقلف**»(٢) وروى البخاري بسنده عن عائشة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تحشرون حفاة عراة غرلا**». قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضُهم إلى بعض؟ فقال: «**الأمر أشد من أن يهمهم ذاك**»(٣).

وروى الترمذي والبخاري عن ابن عباس قال: قام فينا النبي ﷺ يخطب فقال: «**إنكم تحشرون حفاة عراة غرلا** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء :١٠٤] الآية، وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل، وإنه سيجاء برجال من أمتي، فيؤخذون ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول الله إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، كما قال العبد الصالح ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة :١١٧] إلى قوله: ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾. قال: فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم»(٤).

هذه الأحاديث فيها الدلالة على أن الناس يوم القيامة يحشرون حفاة عراة غرلا، أي ترد عليهم القلفة، وهي الجلدة التي يقطعها الخاتن من الذكر، ولكن وردت

---

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٢١ .
(٢) نفسه ص ٣٢٢، ٣٢٣ .
(٣) نفسه ص ٣٢٥ .
(٤) نفسه ٣٢٣، ٣٢٤، وانظر الأحوذي شرح الترمذي جـ ٧ ص ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩ .

بعض الأحاديث تبين أن المؤمنين يحشرون في أكفانهم يوم القيامة. وهذا بظاهره يعارض الأحاديث المتقدمة من كون الناس في الحشر حفاة عراة. يقول القرطبي في التذكرة: «**وقد عارض هذا الباب، أي حشر الناس حفاة عراة، ما روى أبو داود في سننه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، لما حضرته الوفاة دعا بثياب جدد، فلبسها، وقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الميت يبعث في ثيابه التي دفن فيها»**»، وذهب إلى ذلك أبو حامد الغزالي في كتابه «**كشف علوم الآخرة**» (١). والحديث الذي رواه أبو داود قال عنه ابن حجر: صححه ابن حبان. وللعلماء في الجمع بين حديث أبي داود وغيره عدة طرق، فابن حجر يذهب إلى أن البعض يحشر عاريًا، والبعض يحشر كاسيًا، ويكون المؤمنون هم الذين يكتسون في الحشر، أو أن الجميع يحشرون عراة، ثم يكسى الأنبياء، فأول من يكسى من الأنبياء إبراهيم عليه السلام(٢). والقرطبي - في التذكرة - يذهب إلى أن الناس جميعًا يحشرون عراة بنص الأحاديث، أما من يبعث في ثيابه التي دفن فيها فهو الشهيد فقط، ويذكر القرطبي أن هذا ما ذهب إليه أكثر العلماء، ويرجح القرطبي هذا الرأي بقوله: «**ومما يدل على قول الجماعة مما يوافق حديث عائشة وابن عباس قول الحق ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾** [الأنعام:٩٤] وقوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:٢٩]؛ ولأن الملابس في الدنيا أموال، ولا مال في الآخرة، زالت الأملاك بالموت، وبقيت الأموال في الدنيا، وكل نفسٍ يومئذ فإنما يقيها المكاره ما وجب لها بحسن عملها، أو رحمة من الله مبتدأة من الله عليها (٣). وأُرجح ما ذهب إليه العلماء، ورجحه القرطبي من حشر الناس حفاةً عراة، وأن الذين يحشرون بثيابهم هم الشهداء، لفضلهم ومنزلتهم عند الله. وأيضًا لأن الأحاديث في حشر الناس حفاة عراة قد وردت من أكثر من طريق، بعكس حديث أبي داود، الذي لم تتوافر له الطرق المتعددة التي توفرت لأحاديث حشر الناس حفاة عراة.

---

(١) التذكرة للقرطبي جـ ١ ص ٢٥٥، ٢٥٦

(٢) انظر فتح الباري جـ ١١ ص ٣٢٢ .

(٣) التذكرة للقرطبي جـ ١ ص ٢٥٦، ٢٥٧ .

obeikandl.com

صفة العرق يوم الحشر:

من الأشياء التي تصاحب الحشر يوم القيامة العرق الذي يعم الخلق إلا من رحم الله، وقد وردت أحاديث عدة عن العرق وصفته يوم القيامة، منها ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعينَ ذراعًا ويلْجمُهمْ حتى يبلغ آذانهم**»[(١)].

وروى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**يوم يقوم الناسُ لرب العالمين، حتى يغيب أحدُهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه**»[(٢)] وروى الترمذي عن سليم بن عامر، أخبرنا المقداد صاحبُ رسول الله ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمسُ من العبادِ، حتى يكون قدر ميل أو اثنين**» قال سليم بن عامر: لا أدري أي الميلين عَنَي، أمسافة الأرض أم الميل الذي يكحل به العين؟ قال: «**فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق بقدر أعمالهم: فمنهم من يأخذه إلى عقبه، ومنهم من يأخذه إلى ركبته، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجم إلجامًا فرأيت رسول الله ﷺ يشير بيده إلى فيه أي يلجم إلجامًا**»[(٣)].

والذي يتأمل ما ورد في تلك الأحاديث يعلم عظم الهول فيها. الميل في حديث الترمذي إما أن يكون الميل الذي يكتحل به، وإما أن يكون المراد به الفرسخ والمسافة، وقد ذهب بعض العلماء إلى ترجيح أن المراد بالميل الفرسخ، وكفى في ذلك في تعذيب وإيذاء من أراد الله يوم الحشر، ولا يعترض بأنه إذا كان العرق يلجم البعض، ويكون كالبحر، فكيف يصل إلى كعب الآخر؟ ويجوز أن يخلق الله ارتفاعًا في الأرض تحت أقدام البعض، أو يمسك الله تعالى عرق كل إنسان بحسب عمله، فلا يصل إلى غيره منه شيء، كما أمسك جرية البحر لموسى عليه الصلاة والسلام والأولى ألا يعترض على ذلك بعقل، ولا قياس، ولا

---

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ص ٨٠٤ جمع وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) نفسه ص ٨٠٤ جمع وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ١٠٥، ١٠٦، ومسلم جـ ٤ ص ٢١٦١ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

obeikandl.com

عادة، وإنما يؤخذ بالقبول، ويدخل تحت الإيمان بالغيب [١]. يقول الإمام الغزالي: «**فتأمل يا مسكين في عرق أهل المحشر وشدة كربهم، وفيهم من ينادي فيقول: رب أرحني من هذا الكرب والانتظار ولو إلى النار، وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابًا ولا عقابًا، فإنك واحد منهم، ولا تدري إلى أين يبلغ بك العرق، واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر بمعروف ونهي عن منكر فسيخرجه الحياء من الخوف في صعيد القيامة، ويطول فيه الكرب، ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرًا وأقصر زمانًا من عرق الكرب والانتظار في القيامة، فإنه يوم عظيم شدته طويل مدته**» [٢] ومعلوم أن هذا العرق وما يصاحبه، وإن كانت الأحاديث تدل بظاهرها على العموم؛ فلقد دلت الأحاديث الأخرى على أنه مخصوص بالبعض، وهم الأكثر، ويستثنى الأنبياء والشهداء ومن شاء الله، فأشدهم في العرق الكفار، ثم أصحاب الكبائر، ثم من بعدهم، والمسلمون منهم قليل بالنسبة إلى الكفار [٣].

الحشر إلى الجنة والحشر إلى النار:

هذا هو الحشر الثاني بالنسبة للآخرة، والرابع بالنسبة لأنواع الحشر عامة التي عدها العلماء [٤]. وإن كنت أميل إلى أن الحشر ضمن حشر الآخرة، ولا يعتبر رابعًا بالنسبة لأنواع الحشر عامة، ولا ثانيًا بالنسبة للحشر في الآخرة.

وعلى هذا تكون أنواع الحشر التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ثلاثة: اثنان في الدنيا، وواحد في الآخر، ومن ضمنه حشر المتقين وحشر الكفار.

---

(١) انظر فتح الباري جـ ١١ ص ٣٣٢، ٣٣٣، وتحفة الأحوذي جـ ٧ ص ١٠٥، ١٠٦.

(٢) إحياء علوم الدين جـ ٤ ص ٢٩٥٦ طبعة دار الشعب.

(٣) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٣٢ .

(٤) انظر التذكرة للقرطبي جـ ١ ص ٢٤٢، ٢٤٥، وفتح الباري جـ ١١ ص ٣١٧ ، وتحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢١٣ .

والقرآن الكريم يعرض صورًا مختلفة لحشر المؤمنين، والكافرين، وبينت السنة كيفية حشر المؤمن والكافر يوم القيامة.

فعن حشر المتقين يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم :٨٥].

وذكر المتقين بلفظ التبجيل، وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته، وهم كالوفد وهم قادمون على خير موفود إليه، إلى دار كرامته ورضوانه (١). روى الإمام أحمد بسنده عن معاوية بن حيدة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنكم محشورون رجالاً وركبانًا، وتجرون على وجوهكم**» (٢).

وعن حشر الكافرين يقول الله عز وجل: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء :٩٧] والآية تدل على أن الكافر يحشر يوم القيامة على وجهه وهو أعمى وأبكم وأصم. وقد سئل رسول الله ﷺ عن كيفية حشر الكافر على وجهه يوم القيامة.

روى الإمام مسلم بسنده عن أنس بن مالك، أن رجلًا قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «**أليس الذي أمشاه على رجلين في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟**» (٣). ولا يستغرب الإنسان كيف يمشي الكافر على وجهه يوم القيامة؟ لأن الآخرة فيها من العجائب والغرائب ما لا يتصوره الإنسان. يقول الإمام الغزالي: «**في طبع الآدمي إنكار كل ما لم يأنس به، ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف لأنكر تصور المشي على غير رجل، والمشي بالرجل أيضًا مستبعد عند من لا يشاهد ذلك. فإياك أن تنكر شيئًا من**

---

(١) ابن كثير جـ ٣ ص ١٣٧، الكشاف للزمخشري جـ ٢ ص ٥٧٤ .
(٢) مسند الإمام أحمد جـ ٥ ص ٣، ٥ .
(٣) مسلم جـ ٤ ص ٢١٦١ .

عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما في الدنيا، فإنك لو لم تكن شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكارًا لها» (١).

وقد وردت آيات في القرآن الكريم في حشر الكفار ظاهرها التعارض، إذ إن الله عز وجل مرة يذكر عن الكفار وحشرهم أنهم يكونون عميا وبكما وصما، ومرة يذكر أنهم يتعارفون فيما بينهم، يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس :٤٥] ويذكر أيضًا قولهم ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس :٥٢] وكلامهم مضاد للصمم، والبكم معًا. وفي آية أخرى يذكر سؤالهم وتبكيتهم، يقول تعالى ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف :٦] والسؤال لا بد فيه من سماع منهم وجواب، وفي آية أخرى يقول: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه :١٠٢] أي زرق العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال. وهذا ينافي العمى، وفي آية أخرى يقول: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس :٥١] ويقول في آية أخرى ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج :٤٣]، والنسلان، والإسراع مخالفان للحشر على الوجوه، كما يقول القرطبي في التذكرة (٢).

ويوفق القرطبي في التذكرة بين الآيات التي وردت في حشر الكفار، والتي ظاهرها التعارض، فيقول: **«إن الناس إذا أحيوا وبعثوا من قبورهم فليست حالتهم حالة واحدة، ولا موقفهم، ولا مقامهم واحدًا، ولكن لهم مواقف وأحوالاً، واختلفت الأخبار عنهم؛ لاختلاف مواقفهم وأحوالهم. وجملة ذلك أنها خمسة أحوال: الأولى حال البعث من القبور، والثانية حال السوق إلى موضع الحساب، والثالثة حال المحاسبة، والرابعة حال السوق إلى دار الجزاء، والخامسة حال مقامهم في الدار التي يستقرون فيها.**

* * *

(١) إحياء علوم الدين جـ ٤ ص ٢٩٥٦ - طبعة دار الشعب.

(٢) التذكرة جـ ١ ص ٢٥٠ .

الحالة الأولى:

فأما حال البعث من القبور فإن الكفار يكونون كاملي الحواس والجوارح، لقول الله تعالى: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس :٤٥] وقوله: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ [طه :١٠٣] وقوله: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر :٦٨] وقوله: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [المؤمنون :١١٢] إلى قوله: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون :١١٥].

الحالة الثانية:

حال السوق إلى موضع الحساب، وهم أيضًا في هذه الحال بحواس تامة، لقوله عز وجل: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات :٢٢-٢٤]. ومعنى فاهدوهم أي دلوهم، ولا دلالة لأعمى أصم، ولا سؤال لأبكم، فثبت بهذا أنهم يكونون بأبصار، وأسماع، وألسنة ناطقة [(١)].

الحالة الثالثة:

ويبين الحالة الثالثة بقوله: «**والحالة الثالثة، وهي حالة المحاسبة، وهم يكونون فيها أيضًا كاملي الحواس، ليسمعوا ما يقال لهم، ويقرءوا كتبهم الناطقة بأعمالهم، وتشهد عليهم جوارحهم بسيئاتهم فيسمعونها، وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم يقولون:** ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف :٤٩] **وأنهم يقولون لجلودهم لم** شهدتم علينا، وليشاهدوا أحوال القيامة، وما كانوا مكذبين في الدنيا به من شدتها، وتصرف الأحوال بالناس فيها».

الحالة الرابعة:

وهي السوق إلى جهنم فإنهم يسلبون فيها أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم، لقوله

---

(١) التذكرة جـ ١ ص ٢٥١ .

تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [الإسراء :٩٧] ويحتمل أن يكون قول الله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمٰن :٤١] إشارة إلى ما يشعرون به من سلب الأبصار والأسماع والمنطق (١).

الحالة الخامسة:

حالة الإقامة في النار، وهذه الحالة تنقسم إلى بدءٍ ومآل، فبدؤها أنهم قطعوا المسافة التي بين موقف الحساب وشفير جهنم عميًا وبكمًا وصمًّا إذلالًا لهم، تمييزا عن غيرهم، ثم ردت الحواس إليهم ليشاهدوا النار، وما أعد الله لهم فيها من عذاب، ويعاتبوا ملائكة العذاب، وكل ما كانوا به مكذبين، فيستقروا في النار ناطقين سامعين مبصرين، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى :٤٥].

وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام :٢٧] وقال ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨-٣٩] وقال: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الملك: ٨-٩] وأما العقبي والمآل فإنهم إذا قالوا: ﴿أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون :١٠٧] فقال الله تعالى: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون :١٠٨] وكتب عليهم الخلود بالمثل الذي يضرب لهم، وهو أن يؤتى بكبش أملح، ويسمى الموت، ثم يذبح على الصراط بين الجنة والنار، وينادوا: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت – سلبوا في ذلك الموقف أسماعهم» (٢).

---

(١) التذكرة جـ ٢ ص ٢٥١.

(٢) التذكرة للقرطبي جـ ١، ص ٢٥١ .

وهكذا يوفق «**القرطبي**» بين الآيات التي قد يتعارض بعضها مع البعض ظاهرًا، فيبين أن لكل آية وجهًا وموقفًا خاصًا بها، وبهذا يزول التعارض بين ظاهر الآيات وبعضها مع البعض الآخر.

ثانيًا: الحشر في التصور النصراني

لم أعثر في المصادر التي رجعت إليها عند النصارى على أي تصور لهم عن الحشر وأحوال الناس فيه، وصفة العرق فيه ولا على شيء من الأشياء التي تحدث عنها القرآن الكريم، وفصلها الرسول ﷺ. ويبدو أن النصارى لا يفرقون بين البعث والحشر؛ لأن الحشر لم يرد عندهم، ولم يخصص بذكر في العهدين القديم والجديد، والنصوص التي وردت - خاصة في الأناجيل وأعمال الرسل - تصور بعث الناس من القبور عند سماع صوت ابن الإنسان، كما يقول «**لوقا**» في إنجيله، وعند سماع صوت الملائكة كما يقول «**متى**» في إنجيله.

ورد في الإصحاح الخامس والعشرين من إنجيل «متى»: «**متى جاء ابن الإنسان في مجده فحينئذ يجلس على كرسي مجده، ويجمع أمامه جميع الشعوب، فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء**»[١].

وورد في إنجيل لوقا: «**لا تتعجبوا، فإنه تأتي ساعة فيها يسمع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة**»[٢].

ما هي حالتهم أثناء الخروج، وما هي صفتهم؟ لا تحدثنا نصوص الأناجيل عن صفة الذين يبعثون إلى الدينونة.

وورد في رسائل بولس: «**الراقدون بيسوع يحضرهم الله أيضًا معه**»[٣] «**الله الذي يقيم الأموات**»[٤] ولا يدلي بولس بأي تصريح في رسائله عن صفتهم وحالتهم أثناء الوقوف أمام الله يوم القيامة.

---

(١) متى: ٣٤/٢٥ .
(٢) لوقا: ٢٨/٥ .
(٣) رسالة تسالونيكي ١٤/٤ .
(٤) رسالة تسالونيكي الثانية ٩/١ .

ورد في رؤيا يوحنا اللاهوتي قوله: **«ورأيت الأموات صغارًا وكبارًا واقفين أمام الله»**[١].

هذه النصوص التي عرضناها لا تذكر الحشر، أو بتعبير أدق يبدو أن النصارى لا يفرقون بين البعث، والحشر، ويعبرون عنه بالقيامة أو الدينونة أو البعث[٢].

وكانت صورة الحشر التي بينها القرآن الكريم، وفصلها الرسول ﷺ مثار طعن من بعض النصارى على الإسلام، وكانوا يجادلون علماء الإسلام في تفصيلات الحشر التي وردت في السنة.

ورد في كتاب الانتصارات الإسلامية لنجم الدين الطوفي، شبهة أحد النصارى وسخريته من الأحاديث التي وردت عن حشر الناس حفاة عراة، وأيضًا حشر البهائم والجمادات يوم القيامة، ويسخر النصراني من الحديث الذي ورد فيه **«يحشر الناس حفاة عراة غرلا»** وحديث أبي هريرة **«إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا فيقول هذا فداؤك من النار»**[٣].

ثم يقول النصراني مستبعدًا ومستنكرًا: **«فانظر إلى هذه الأحاديث، وما تضمنته من الأخبار، وكيف أخبر عن حشر الحشرات والبهائم والعيدان، وأن الله يقضي بينهن، وكيف تمشي الجمال والبقر على الناس»**[٤].

ويجيب الطوفي على النصراني من وجهين:

أحدهما: «إن كل هذا ممكن لا شك في إمكانه، وقد أخبر به الصادق، فيجب قبوله»[٥].

ثانيهما: «إنه ليس عندك في إنكاره إلا كونه لم يذكر في كتابك ونحوه»[٦].

والحق ما ذهب إليه نجم الدين الطوفي؛ لأن حديث حشر الناس حفاة عراة

---

(١) رؤيا يوحنا ٢٠/١٣.
(٢) علم اللاهوت ميخائيل مينا ص ١٣٤/١٨١ .
(٣) الانتصارات الإسلامية – نجم الدين الطوفي ١٩٣ .
(٤) السابق.
(٥) نفسه.
(٦) نفسه.

ورد في أصح كتابين بعد كتاب الله تعالى، فقد رواه الإمام البخاري عن ابن عباس والإمام مسلم عن قتيبة (١)، ورواه الترمذي في جامعه عن ابن عباس (٢) وقد اتفقت الأمة على قبول ما رواه الإمام البخاري ومسلم لصحة نسبته إلى رسول الله ﷺ. وجامع الترمذي من الكتب الصحاح. وقد ورد فيه الحديث أيضًا، وأما اقتصاص الحيوانات من بعضها يوم القيامة فتحقيقًا للعدل يوم القيامة، وأما حديث أبي هريرة **«إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا فيقول هذا فداؤك من النار»**؛ فليس في ذلك ظلم للنصارى، والعلماء قد شرحوا الحديث شرحًا بيِّن مقصد الرسول ﷺ في ذلك، واليهود والنصارى قد سنوا سننًا سيئة، فإذا اتبعهم فيها أحد المؤمنين كان عليه وزر الاتباع، وعليهم وزر الابتداع، فإذا كان يوم القيامة غفر الله ذنب المؤمن فعفا عنه وبقيت سيئات اليهود والنصارى. الذين سنوا السنن السيئة فحملوا وزر الابتداع لتلك السنن السيئة (٣) ويصف الطوفي ما عند اليهود والنصارى بأنه محرف، إذ الأصل أن الأشياء التي طعن فيها النصراني من الحشر وغيره موجودة عندهم، ولكنهم حرفوها، وبدلوها، يقول الطوفي: **«إن أصول الدين الإسلامي مشتركة بين سائر الأديان، لقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]** ولكن ذلك بُدِّل وغُيِّر في كتبكم، لتطاول العهد، واعتوار اللغات والألسنة عليه (٤). ونحن مع نجم الدين الطوفي في أن النصارى قد حرفوا وبدلوا كثيرًا مما في كتبهم، ومما بدلوه وحرفوه ما يتصل بالآخرة، ولكن لسنا معه في أن التفصيلات والفروع كانت موجودة عند النصارى واليهود كما في الإسلام فالأصول واحدة والفروع مختلفة.

---

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٢١، ٣٢٢ .

(٢) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ١٠٨ .

(٣) انظر فتح الباري جـ ١١٠ ص ٢٢٥ .

(٤) الانتصارات الإسلامية ص ١٩٧ .

ثالثًا: الحشر في التصور اليهودي

في المصادر المتاحة والتي رجعت إليها [(١)] لم أجد أي إشارة عن الحشر وأحوال الناس فيه بالتفصيل، وهذه المصادر تعتبر قليلة، ولكن عذري في ذلك ندرة العثور على كتب يهودية، لأن اليهودية كما نعلم ليست ديانة مبشرة، وهم لا ينشرون دينهم خارج بني جنسهم؛ لاعتقادهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأثناء البحث عثرت على نص لأحد علماء اليهود، وهو سعديا الفيومي في كتابه الأمانات والاعتقادات – هذا النص ورد فيه كلمة الحشر، في معرض حديث المؤلف عن الآخرة، وفيه يذكر أن كل من لا يعتقد بالبعث فغير محشور في جملة الأمة – أي أمة اليهود – والنص هو: **«كل من لا يعتقد إحياء الموتى في دار الدنيا فغير محشور في جملة الأمة»** [(٢)]. والعبارة **«غير محشور في جملة الأمة»**. هل يقصد بها الحشر الأخروي؟ أو يقصد بها غير داخل في جملة الأمة؟ هذا محتمل وهذا محتمل، ولكن الذي أرجحه الاحتمال الأول، أي حشر الآخرة؛ لأن كلام سعديا الفيومي قبل هذا النص كان عن التدليل على وقوع البعث وإحياء الناس بعد الموت. وكما أوضحنا عند الحديث عن البعث عند اليهود، فإن الإشارات عن اليوم الآخر ترد قليلة في العهد القديم، هذا فضلا عن التفصيلات في الآخرة والحشر والحساب والجنة والنار.

وهذا يدل:

أولاً: على كمال الإسلام، بإحاطته بالكليات والجزئيات عن اليوم الآخر.

---

(١) العهد القديم، انظر تنقيح الأبحاث لابن كمونة ص ٢٤، ٣٤ التلمود أصله وتسلسله ص ٩٠، ١٤٣ التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٧٩، ٨٥ السنن القويم في تفسير العهد القديم جـ ١ ص ٥٠، جـ ٥ ص ٢١١ الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الإسكندري ص ٣٠٤، ٣١٧ قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٤٥ – اليهود تاريخًا وعقيدة ص ١٦١ أديان العالم حبيب سعد ١٩٤/١٩٥ التوراة السامرية ٣٩٢، ٣٩٣ قاموس الكتاب المقدس ٧٤٨، ٧٤٩ تراث العالم القديم جـ ١ ص ٩٨، ٩٩ – الأمانات والاعتقادات.

(٢) الأمانات والاعتقادات ص ٢١٩ .

obeikandl.com

ثانيًا: على التحريف والتبديل الذي لحق بالتوراة وأسفار الأنبياء، لأن اليهود حرفوا ما جاء عن الآخرة في التوراة؛ لأن الأصول عند جميع الرسل واحدة، وتلك الأصول قد حرفها اليهود. أين ما ورد عن الآخرة في التوراة من مثل قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى :١٦-١٩] فإيثار الآخرة على الدنيا موجود في صحف موسى عليه السلام، ولا نجد لهذه التعاليم أي أثر في التوراة الحالية، وأيضًا قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم :٣٦-٤٢].

* * *